Adab Al-Rafidayn

https://ojs.uomosul.edu.iq/index.php/radab

Climatic and Emotional Change in the Umayyad Poetic Imagination

Ann Tahseen Mahmood
Department of Arabic Language /
College of Arts/ University of Mosul/ Mosul- Iraq

Article Information

Article History:
Received Oct 28, 2025
Revised Nov 19 ,2025
Accepted Nov30 , 2025
Available Online Feb 1, 2026

Keywords:
Climate change,
Emotional Change,
Poetic imagination,
Umayyad poetry,
Poetic image

Correspondence:
Ann Tahseen Mahmood
ann.t.alchalabi@uomosul.edu.iq

Abstract

The research attempts to uncover the representations of climate changes in Umayyad poetic imagination, not only as a background for the poetic imagery, but also as emotional and metaphorical connotations that connect human inner life to external natural circles. The research tries to analyse the overlap between the natural and emotional climates and the interaction of the two climates in shaping the emotional poetics that results from the union of emotion and language. Poetic imagination is the energy that transforms the sensory image into an emotional experience. In Umayyad poetry, the poetic imagination takes two essential functions: The first is the embodiment of emotion through climate change. The second is recreating the situation poetically. The poet's natural climate and spiritual climate are inseparable. For the poet, drought embodies despair, rain embodies longing, and storms embody tension. Thus, the metaphor harmonizes the natural and emotional climates.On the other hand, the research critically examines instances of climatic and emotional contrast in the poetical text. For some poets, the poetic image may exhibit a contrast between elements of climate and emotion, such as when the natural climate is spring and the emotional climate is autumn, revealing the depth of separation between the two climates, producing a sense of existential paradox, alienation and non-belonging.

DOI:_____, ©Authors, 2023, College of Arts, University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license ((http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

التغير المناخي والعاطفي في المخيال الشعري الأموي

***آن تحسين محمود* ***

مستخلص:

يسعى البحث للكشف عن تمثلات التغيرات المناخية في المخيال الشعري الأموي، ليست بوصفها خلفيات للصورة الشعرية فحسب، بل بوصفها محمولات عاطفية ومجازية تربط حياة الإنسان الداخلية بالدوائر الطبيعية الخارجية. ويحاول البحث تحليل التداخل بين المناخين

*قسم اللغة العربية/ كلية الاداب / جامعة الموصل/ الموصل - العراق

الطبيعي والعاطفي، وتفاعل هذين المناخين في تشكيل الشعرية الانفعالية التي تنتج من اتحاد العاطفة باللغة، فالمخيال الشعري هو الطاقة التي تحول الصورة الحسية إلى تجربة وجدانية، ويتخذ المخيال الشعري في الشعر الأموي مهمتين جوهريتين: الأولى، تجسيد العاطفة بالتغير المناخي، والثانية إعادة خلق الحالة شعريًّا؛ فالمناخ الطبيعي والمناخ الروحي للشاعر لا ينفصلان، فالجفاف عنده تجسيد لليأس والمطر تجسيد للشوق والعاصفة تجسيد للتوتر. وبذلك يجانس المجاز بين المناخين الطبيعي والعاطفي.

ومن ناحية أخرى، يرصد البحث نقديًّا حالات التضاد المناخي والعاطفي التي تظهر في النص الشعري؛ فقد تحمل الصورة الشعرية عند بعض الشعراء تضادًا بين عناصر المناخ والعاطفة، كأن يكون المناخ الطبيعي ربيعًا والعاطفي خريفًا كاشفًا عمق الانفصال بين المناخين؛ مما ينتج شعورًا بالمفارقة الوجودية والاغتراب واللا انتماء.

الكلمات المفتاحية: التغير المناخي، التغير العاطفي، المخيال الشعري، الشعر الأَموي، الصورة الشعرية

المقدمة:

تحاول الدراسة الكشف عن تمثلات التغير المناخي والعاطفي في المخيال الشعري الأموي الذي جعل من التغير المناخي أداةً فاعلة للتعبير عن أزمات الروح، وتقلباتها في بنية تتسم بالحركية الانتمائية العاطفية والوجودية.

إن من أُسس الإبداع تجاوز العادي في التعبير الشعري، وإيجاد منافذ تعبيرية متنوعة قادرة على حمل الدلالات، وربطها بالعاطفة بالمجازات والاستعارات والصور والشفرات الرمزية، وإن تقييم العلاقة بين التغير المناخي والعاطفي ارتبط منذ فترات بعيدة من الوجود الإنساني بالبعد الأسطوري أو شبه الديني أو تم اختزاله في الحقل العلمي الصرف، وقد شحّت الدراسات الأدبية التي تعالج نقديًّا جدلية العلاقة بين التغير المناخي والتغير العاطفي، ففهم العلاقة بينهما في الأدب، وفي الشعر تحديدًا، يتطلب تجاوز النظرة التقليدية التي ترى المناخ مجرد عنصر خارجي تجميلي وزخرفي إلى رؤية أكثر عمقًا تتعامل مع المناخ بوصفه امتدادًا للذات الإنسانية.

ويُعد المناخ رمزًا ثقافيًّا مهمًّا ينهض على فهم المناخ وتحولاته، وأثر هذا الفهم في تشكيل البعد الثيمي العاطفي للنص، فالمناخ تركيبة من الثقافة والطبيعة، الطبيعة بوصفها واقعًا محسوسًا، والثقافة بوصفها شبكةً من المعاني التي تمنح المناخ دلالاته الرمزية، وإن دراسة التغير المناخي في الشعر تفتح أفقًا لفهم كيف يُعيد المخيال الشعري تشكيل الطبيعة، فتتحول صور المناخ الطبيعي إلى أدوات تعبيرية مركزية في صياغة التجربة الشعرية، ويمكن عدّ الكثير من النصوص الشعرية، ولا سيما الأموية، تمثيلات معقدة للحوار المتواصل بين الداخل العاطفي للشاعر والخارج المناخي.

ويُعرف المناخ بأنه متوسط الأحوال العامة للجو من حيث المطر والريح والحر والبرد، وغيرها [1] .لذلك، فثمة مناخ جاذب ومناخ نافر، يسعى الانسان بين هذين المناخين من أجل البقاء حيًّا في حالة أشبه بتحدٍّ مؤقتٍ للموت الفعلي والمجازي، الموت لا بوصفه إعلانا للفناء فحسب، بل بوصفه رمزًا تحوليًّا يتصل بمفاهيم الفقد والغياب والصمت والزوال والتحرر من قيود الجسد، ويحدد بعض الدارسين عناصر المناخ بأنها: الحرارة والريح والغيوم والرطوبة والمطر، وغيرها[2]. في حين اتجهت الرؤية إلى المناخ فلسفيًّا على وفق وجهات أربع: الأولى، ترى المناخ ليس سوى حضور أو غياب ومكون من مكونات الثقافة الشخصية، والثانية، ترى المناخ عقبة يجب تجاوزها، وأنه مجرد جزء من المشهد ومعلم تجب دراسته، وتنظر الثالثة إلى المناخ رؤية ديداكتيكية (تعليمية)، يمثل المناخ فيها شخصية الطبيعة، وترى الرابعة المناخ جزءًا من الحسابات الكونية، وأنه يمنح رسائل مترددة تُكتسب من خلالها المعرفة العملية، ومن هذه الرؤى المتنوعة للمناخ نستعير حالاتنا الشعورية والوجدانية المتغيرة[3] . وترى الفلسفة الرواقية الحلولية، المرتبطة بوحدة الوجود، الكونَ بأنه كيان يدعم نفسه بنفسه، وتعتمد كل أجزائه على التبادل المشترك مع بعضها البعض. وتستطيع هذه الأجزاء المختلفة من هذا البناء الموحد من التفاعل والتعاطف فيما بينها[4]، فالرواقي يعدُّ كل ما يحدث في الطبيعة من تغيرات مناخية جزءًا من سير النظام الكوني.

وأثرت هذه الفلسفة فيما بعد في حركة الشعر الرعوي والرومانسي العالمي، وقدَّم شعراء هاتين المدرستين نماذج مهمة من الشعر المناخي إلى الحدِّ الذي يذكر وردزورث، الممثل الأبرز للشعرية الرومانسية، أنه فقط بالتأمل الرواقي يمكننا فهم العالم والكشف عن الأرواح السرية فيه، ومن هذا المنطلق، يصبح المخيال الشعري، الذي يُعرّفه باشلار بأنه حالة من التأمل الذي يُعيد فيها الشاعر خلق العالم من خلال الصورة الشعرية، لا بوصفه هروبًا من الواقع، بل بوصفه انفتاحًا على عمق الوجود وجماله، فالمخيال الشعري لا يمثل "خيالًا باطلًا ولا

---

[1]) ينظر:أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي، احمد محمد الحوفي، مكتبة نهضة مصر، مصر، 26.

[2]) ينظر:موسوعة علم الفلك، وفاء فرحات،ط1، دار اليوسف ، بيروت،2004-2005، 165.

[3]) Weather studies in philosophy, Nathan Coppedge, Academia.edu, 2014..

[4]) Stoicism, a Philosophical basis for Ecology, Koffi Alladakan, 1.

نسخًا للواقع، بل هو قوة توليدية خالقة تضخ في الأشياء حياة جديدة [1] بمسافة تلتقي فيها الفلسفة والرؤية الجمالية، فالمخيال الشعري يُعيد تفكيك المناخ وتركيبه على وفق رؤية وجدانية تجعل من العاطفة مركزًا لفهم الطبيعة، وتفسيرها. وهكذا يرتقي المناخ من مُعطى حسي إلى مُعطى روحي؛. فيتحول المناخ وتقلباته إلى طاقة رمزية حاملة لمعانٍ وجودية تحتفي بالمسافة بين الداخل العاطفي والخارج المناخي الطبيعي.

وبهذه الآلية الإبداعية يُعيد الشاعر تأسيس علاقات جديدة بين العالم المحسوس والعالم المعنوي على وفق رؤيته الخاصة. فالمخيال يتعالى على الوصف الموضوعي للواقع، ويقترح تأويلًا نفسيًّا وعاطفيًّا للمناخ، وبوساطته يتمكن الشاعر من تحويل الصور الحسية إلى صور وجدانية معبرة عن حالته الشعورية في اللحظة الشعرية.

يوظف الشاعر التغير المناخي كمرايا تعكس عواطفه وشجونه الداخلية، شاغلًا فضاءه التخيلي بأسئلة قادرة على استنفار مزاج القارئ وتوجيهه نحو حالة من استدعاء العاطفة في عملية الصناعة التأثيرية للنص.

لم يعد التغير المناخي مجرد ظاهرة بيئية تخضع للتفسير العلمي، بل تحول إلى شفرة عاطفية كونية تنعكس آثارها في الوعي الجمعي وفي البنى العميقة للمخيال الإنساني، وارتبط التغير المناخي، منذ القدم، بحساسية الشاعر، وانعكست صوره في نصوص قدمت المناخ مرآة لتحولات الشاعر العاطفية والوجودية، فالشاعر، كأي انسان، على اتصال دائم بكل ظواهر الطبيعة ومختلف حالات المناخ، وأنه يتعالى إلى ما هو روحي معبرً بالظواهر الطقسية عن قلقه واغترابه واضطرابه، ومحاولًا توثيق الصلة الجمالية بالمناخ بتشكيل المشترك العاطفي وهدم جدار الصمت والعزلة ومنح المناخ لسانًا شعوريًّا، بل وإشراكه في المناخ الروحي الإنساني.

ويحضر التغير المناخي في المخيال الشعري الأموي لا بوصفه مجرد خلفية جمالية، بل بكونه عنصرًا فاعلًا في إنتاج النص الشعري المتمثل في صور ومجازات وايحاءات ورموز. ويتداخل التغير المناخي مع التحولات الشعورية لتقديم ثيمات أدبية وقيم إنسانية متنوعة، فقد تم تقديم صور الفقد والاغتراب والعزلة، والانبعاث والحرية، والحب والحنين، واليأس والغضب والقلق، وغيرها. وتداخلت هذه التنويعات الثيمية مع تقلبات المناخ الطبيعي، وانعكست في الشعر الأموي بهذا المزج تجارب شعورية مانحة للمناخ لغة، وحولته ايضًا إلى مخزون هائل من المشاعر والأحاسيس.

المطر والعاطفة في المخيال الشعري الأموي

يعد المطر رمزًا للتغيير لقدرته على قلب المشهد الطبيعي، ويمثل قوةَ الطبيعة التحويلية، وكما هو الحال مع الماء، فإن معنى المطر يمتد ليعني أيضًا التطهير بصورتيه المادية والروحية، بل إن حضوره أشبه بحالة تعميد للمكان، وارتبط المطر قديمًا بالحياة والانبعاث، ومثّل عند المسيحيين رمزًا للانبعاث الروحي؛ فهو رمز الولادات الروحية. وشّكل في الأدب الثيمة ذاتها، فهو الولادة بعد الموت، والخضرة بعد الجدب، وهو مصدر جوهري لمياه البحيرات والأنهر والبحار المهمة للتوازن البيئي والبقاء الإنساني، وهو يمثل التغير والتحول، والارتقاء، والخصوبة والوفرة.

ويحضر المطر في النص القرآني بصور متباينة، فكان في موضع الانتقام والعذاب الإلهي كما في الآية الآتية: " **وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ"** (الأعراف:84). ويحضر بصورة الرحمة، كما في الآية: " **أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ"** (النمل: 60).

شهدت الجزيرة العربية والشام والعراق في الحقبة الأموية هطول أمطار غزيرة، وكانت الأعشاب والنباتات تنمو لتكسو أقاليم واسعة منها، وكفل للناس هذا الهطول الخير والرزق، وشكّل وسيلة مهمة من وسائل الحياة. لهذا احتفى العرب قديمًا بالمطر وكانوا يتشوقون إليه وسموه غيثًا[2] . والمطر من أكثر الظواهر المناخية حضورًا في الشعر الأموي لما يحمله من معاني الانبعاث والولادة وتجدد الحياة والخصب والأمل والشوق، وغيرها، ووظِّف غالبًا لوصف الحالة المزاجية والعاطفية للشاعر في صورة معينة.

يقول جميل بثينة[3]:

[1]) The Poetics of Reverie:Childhood, Language, and Cosmos, Gaston Bachelard, translated by: Daniel S. Russell, Open Access Library Journal, 8:e7237. 6-8.

[2] (ينظر: أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي، جمع وتحقيق: احمد محمد الحوفي، مكتبة نهضة مصر، مصر، 27.

[3]) ديوان جميل شعر الحب العذري، جمع وتحقيق: حسين نصار، دار مصر للطباعة، مصر، 1979، 84.

هاجت فؤادك للحبيبة دار — أقوت وغيَّر آيها الأمطارُ

وعفا الربيع رسومَها، فكأنها — لم يَغنَ قبلُ بربعها ديّارُ

لما وقفتُ بها القلوصَ تبادرت — مني الدموعُ وهاجني استعبارُ

يكشف المقطع أعلاه عمق العلاقة بين التغير المناخي والحالة العاطفية للشاعر، وهو مَثَل لوقفة الطلل التي يمتزج فيها التغير المناخي بالتغير العاطفي من خلال تأمل الخراب المكاني واستدعاء ذاكرة المكان المهجور؛ مما يوحي بحالة الحزن والألم الروحي والإحساس بالفقد والغياب والتشبث بالبقايا، ولم يزد المطر، هنا، المكان إلَّا خرابًا ووحشة على الرغم رغم مما يمتلكه من قوة إحيائية، والربيع فقد صورته المعهودة المتسمة بالخضرة والنبات والحياة، وتحول المكان إلى "خراب جميل"، خراب لخلوه من كل أسباب الحياة، ولغياب ساكنيه وهجرتهم، وجميل لما يمتلكه من ذاكرة لأيامٍ خلت، فتحول الى سجل ذكريات لم يستطع الزمان محوها، وقد ارتبط هطول المطر هنا، بهطول الدمع في لحظة تحول المناخ إلى مرآة عاكسة لعاطفة الشاعر.

ويقول قيس بن الملوح[1]:

فلو كنتِ ماءً كنتِ مِن ماء مُزنةٍ — ولو كنتِ نومًا كنتِ من غفوة الفجرِ

إن مياه المُزن، المياه العليا حسب تصنيف باشلار، وهنا، ترتبط بالعلو الواقعي والمجازي، المكاني والروحي، فهي من رُسل السماء القادرة على إحياء الأرض الميتة وإبطال فاعلية الجفاف، فرسالتها الإحياء والتجدد والانبعاث في المكان والعاطفة. وحين يساوي الشاعر بين حبيبته ومياه المُزن، فهو يشعر بقيمة الثروة العاطفية التي تختزنها وتمنحها حبيبته، وإلى الأثر الروحي والعاطفي الذي تشكله في نفسية الشاعر. فالشاعر يرى حبيبته بعين المرتجي وصلًا.

ويمثل الجفاف المكاني مرآةً للجفاف العاطفي في قول كُثير عزة[2]:

وإني وتهيامي بعزة بعدما — تخليتُ مما بيننا وتخلَّت

لكالمرتجي ظلَّ الغمامة كلَّما — تبوأ منها للمقيل اضمحلَّت

كأني وإياها سحابة ممحلٍ — رجاها فلما جاوزته استهلت

يوظف الشاعر المكان ليس بوصفه إطارًا جغرافيًّا، بل كبنية رمزية تعبّر عن دواخل الشاعر وتحولاته الشعورية، فالجفاف هو غياب الوصل بالحبيبة، وهو حالة العطش الروحي والذبول الوجداني، في مسعى من الشاعر لأسقاط صورة المكان الجغرافي على هشاشة التواصل العاطفي.

ويقدم المقطع أعلاه صورة التوازي الجمالي بين تشققات الأرض، بحيث استحال كل شِق في تربة المكان إلى صدع في تربة الروح.

الريح والعاطفة في المخيال الشعري الأموي

إن الريح من أبرز عناصر المناخ توظيفًا في الشعر الأموي، بما تحمله من طاقة رمزية وجمالية، فلم تعد الريح ظاهرة مناخية فقط، بل تحولت في المخيال الشعري الأموي إلى معادل موضوعي للعواطف النفسية والانفعالات الحادة، مما يخلق تقاطعًا دقيقًا بين المناخ الطبيعي والعاطفي في بنية النص الشعري.

وقد مثّلت الريح في نصوص شعرية وافرة قوة تدميرية عنيفة لها حركتها التأثيرية الواضحة في العلاقة بين المناخين الطبيعي والعاطفي، وعلى الرغم من كونها قوةً غير مرئية، إلا أن أثرها المرئي ملحوظ في الطبيعة، وقد حاول الإنسان القديم فهم ما حوله من الظروف المناخية، وردَّ الكثير من تفسيراته إلى الأرواح. فأعطى لكل شيء روحًا، ولنقيضه روحًا ايضًا، وزاد الإنسان في تحديدها تبعًا لمواقف

[1] (ديوان مجنون ليلى، جمع وتحقيق: عبد الستار احمد فراج،دار مصر للطباعة، مصر، 1979، 120.

[2] (ديوان كُثير عزة :تحقيق، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1971، 103.

حياته وحاجته الروحية والمادية[1] . فإن كانت الريح قوة مهيمنة ومتغيرة وعاصفة، فإنه كما تتقلب الريح تتقلب الروح. والريح عند المصريين القدماء من القوى الطبيعية التي أُسندت إليها كل أفاعيل الكون، ومنها مسألة الخلق والتكوين[2] .

وفلسفيًّا، يذكر أفلاطون كيف جاء الخالق في بداية الخلق، وخلق المتشابه واللا متشابه (النفس الكلية) التي منها خلق العناصر الأربعة: الهواء، والماء، والنار، والتراب[3] ، ويقال: الروح جسم رقيق من جنس الريح[4] ، أي إن أصلهما واحد، وأنهما يُجمعان في جمع واحد (أرواح).

وقد وردت الريح في القرآن في أكثر من موضع ودلالة، منها قوله تعالى:" **وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** (الأعراف: 57)، فدلالة الرحمة والإحياء واضحة هنا في هذه الآية. ومنها قوله تعالى: "إِذْ **أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ** "(الذاريات:41) والريح العقيم هي التي لم تأتِ بما ينفع الناس، ومنها الريح التي أهلكت قوم عاد.

ويرى النويري أن تغير حالات الريح يؤدي إلى تغير في حالات العاطفة والمزاج، وباعتدالها يعتدل المزاج والحالة العاطفية للإنسان[5] . ولوقوع معظم أجزاء الجزيرة العربية في الإقليم المداري الحار، وهي في نطاق الرياح الشمالية الشرقية الجافة، كان مناخها جافًا قاريًّا. وتهبُ على أجزائها الشمالية والوسطى الرياح الشمالية والشمالية الغربية، وأحيانًا الجنوبية والجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية[6] .ومتى توجهت الريح من المشرق إلى المغرب، سُميت ريح الصّبا، وقيل: سُميت بالصّبا لأن النفوس تصبو إليها لطيب نسيمها[7] ، يقول قيس بن الملوح فيها[8]:

فإن الصبّا ريحٌ إذا ما تنسمت على نفسِ محزونٍ تجلَّت همومُها

يصف الشاعر ريحَ الصّبا المعروفة بلطفها وأثرها المحبب في النفس الحزينة، حتى كأنها تُزيل الهم والكدر وتجلي عن النفس الكمد، وحضور الصّبا، هنا، لا يمثل مجرد ظاهرة مناخية، بل حوَّلها الشاعر إلى رمز للعطف والحنين والراحة، محاولة منه في مزج أثرها الطبيعي بأثرها العاطفي.

وتحضر الريح في نماذج من الشعر الأموي بوصفها مؤشرًا على التقلب العاطفي والاضطراب النفسي والغربة الوجودية، ولا سيما عندما ترتبط الريح بفصل الشتاء أو بهبوبها المفاجئ. فقد كان لحركة الريح أثر بالغ في حياة العربي، فإذا هبت جنوبًا، فهي حارة، تُرخي البدن وتورث الكسل وتُحدث ثقلًا في السمع، وغشاوة في البصر، أما ريح الشمال، فهي تصح الأبدان وتقوي العقول وتحسّن اللون وتقوي الحركة وتُحدث ألما في الصدر[9] .وريح الشمال من الرياح التي يتشاءم بها العرب، فقد اشتقوا معنى التشاؤم منها، وقد كانت هذه الريح باردة وتُنذر بالقحط[10]. يقول فيها قيس بن الملوح[11]:

هوى صاحبي ريح الشمال إذا جرت وأهوى لنفسي ان تهب جنوبُ

فويلي على العذال ما يتركونني بغمي أما في العاذلين لبيبُ

---

[1] (ينظر: الهامة والصدى صدى الروح في الشعر الجاهلي، إحسان الديك، مجلة جامعة النجاح للأبحاث والعلوم الإنسانية، فلسطين- نابلس،مجلد 13، عدد 2، 1999، 633.

[2]) ينظر: الفلسفة الشرقية، محمد غلاب، ط 2، مكتبة الأنجلو المصرية ومطبعة لجنة البيان العربي، د.ت، 48.

[3]) ينظر: الفكر الإغريقي، محمد الخطيب، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، 2007، 77.

[4]) ينظر: الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، مكتبة القدسي، القاهرة، 82.

[5]) ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر، د.ت،96/1.

[6]) يُنظر: شعر ابن مقبل: قلق الخضرمة بين الجاهلية والإسلام: دراسة تحليلية نقدية، عبد الله الفيفي، ط1، نادي جازان الأدبي، 1999، 403/1.

[7]) ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب ،97/1.

[8]) ديوان مجنون ليلى،195.

[9]) ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب ،96/1.

[10] (ينظر: أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام حياتهم آثارهم نقد شعرهم، بطرس البستاني، دار مارون عبود، 1979، 71/1.

[11]) ديوان مجنون ليلى،48.

البيت الأول، غني بالدلالات المناخية، فصاحب الشاعر يهوى ريح الشمال الباردة، ويميل الشاعر إلى ريح الجنوب الدافئة، ولا يتحدث الشاعر عن الريح بوصفها ظاهرة مناخية، بل يجعلها مرآة لعاطفته. فريح الشمال الباردة ترمز إلى الميل نحو حالة الهدوء والعزلة والوحدة، في حين أن ريح الجنوب تحمل صورة الدفء والحرارة بمعنييها المناخي والعاطفي، وأن علاقة الشاعر بالمناخ هنا ليست علاقة عرضية أو زخرفية، بل جدلية عميقة، تكشف كيف يتكئ الشاعر على المناخ الطبيعي ليبني عالمه الوجداني، فالريح هنا رمز مجازي للمزاج النفسي والحالة العاطفية، فكما للريح خصائص حرارية متباينة، اختلفت القلوب في ميولها أيضًا، وهنا تتجلى الريح الجنوبية بوصفها قوة فاعلة في الداخل العاطفي، لا في الخارج الطبيعي فقط. وهي في هذا السياق الشعري، لا تصف الخارج الطبيعي، بل حوّلها الشاعر إلى إسقاط نفسي للداخل العاطفي.

ويصف سحيم عبد بني الحسحاس الريح في بيت له مشبهًا عنق الحبيبة في شدة بياضه وجماله بجمر الغضى الذي هبّت عليه الريح فزادته نورًا[1]:

كأن الثريا علقت فوق نحرها وجمر غضى هبت له الريح ذاكيا

وتكتسب الريح القادمة من جهة الحبيبة طابعًا رمزيًّا بتحولها من مجرد تيار هوائي إلى رسول ناقل للحنين ومثير للعاطفة.

وقد شكلت الريح في المخيال الشعري الأموي بريد الأشواق، وهي تحمل عَبق الحبيبة وحرارة أنفاسها، يقول ذو الرمة[2]:

إذا هبّت الأرياح من نحو جانب به أهل ميّ هاج شوقي هبوبُها

فالريح هنا تُثير شوقه وحنينه إلى الحبيبة، وتجعله يستعيد ذكريات ماضيه، وهذا يتضح كثيرًا في نصوص الشعراء العذريين الأمويين لأنهم وجدوا في الشوق شكلًا من أشكال التواصل الروحي والثبات أمام وجه الفراق والفقد والمحو، وهذا قيس لبنى يصور الريح بأنها قادرة على حمل عطر الحبيبة وذكراها[3]:

كأن هبوب الريح من نحو أرضكم يُثير فُتات المسك والعنبرَ الندا

أي كأن هبوب الريح من أرض الحبيبة أو ديارها يثير في النفس عطر المسك والعنبر والندى. فهي تجلب في هبوبها الذكرى التي تُعطر المكان، واللافت في هذا التصوير أن الشاعر لم يكن يصف الريح، بل يُجسد بها شوقه، ويقول جميل بثينة[4]:

أيا ريحَ الشمال أما تريني أهيمُ وإنني بادي النحول

هَبي لي نسمةً من ريح بثنٍ ومُنَّي بالهُبوب على جميل

يُهيمن على مناخ البيتين أثر الريح وما تفعله نسمة من ديار الحبيبة من إعادة ترتيب العاطفة في قلبه، وتوقظ نار الشوق فيه.

الفصول والعاطفة في المخيال الشعري الأموي

تعد الفصول مجالا خصبًا لاستجواب التفاعل بين التغير المناخي والعاطفي للشاعر، وقد ارتبطت الفصول الأربعة بمشاعر وأنشطة روحية متنوعة، فلم تعد الفصول مجرد طريقة لتوضيح مرور الزمن وحركته، بل يحمل كل فصل رمزيته ومعناه وما يعكسه من عواطف استنادًا على تقلبات مناخه.

اختلفت العرب قديمًا في تقسيم السنة على فصول، فبعضهم قسمها على أربعة، ولكل موسم سبعُ فترات[1] .ويرى ابن قتيبة أن الأزمنة أربعة: الربيع، والشتاء، والصيف، والقيظ[2] . ولأن الحقبة الأموية امتدت على مساحات واسعة جدًّا من الجزيرة العربية والشام والعراق وبلاد من الشرق والغرب فقد تنوع مناخها وتقلبت أنواؤها.

[1]) ديوان سُحيم عبد بني الحسحاس، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1950، 17.

[2]) ديوان ذي الرمة، تحقيق: مجيد طراد، ط 2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1996، 245.

[3]) ديوان قيس بن ذُريح (قيس لبنى)، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، ط 2، دار المعرفة، بيروت، 2004، 69.

[4]) ديوان جميل بثينة، تحقيق: حسين نصار، دار مصر للطباعة، مصر، 1979، 183.

وتجذب تنويعات المناخ انتباه الشاعر نظرًا لثراء رمزيتها التي تأسست على سياقات تاريخية وثقافية، فبرودة الشتاء، مثلًا تؤثر في شعور الناس تجاهه؛ لذلك ارتبط الشتاء بالحزن والعزلة والظلمة، واليأس، والخراب والموت. يقول كُثير عزة ممتدحًا قومًا يلجأ إليهم الناس وقت الشتاء البارد[3]:

لنعم ذوو الأضياف يغشون بابه إذا هبَّ أرياح الشتاء الصوارد

يمتدح الشاعر القوم الذين تزورهم الناس طلبًا للمأوى والدفء والعون في الشتاء القارص، وتحديد الشاعر صفة (ذوي الأضياف) يحمل معنى ذوي الراحة، ويتضمن البيت الشكر الضمني لهؤلاء القوم.

ويقول كُثير في موضع آخر[4]:

وهبّت رياحُ الصيف يَرمين بالسَّفا بليّة باقي قرملٍ بالمآثبِ

تثير الريح الصيفية، هنا، الغبار الدقيق (السّفا) ليغطي مكانًا هجره أهله فاستوطنه الجفاف والفراغ والوحشة. يكشف الشاعر في خضم هذا المشهد المناخي مشاعر الحنين إلى مكان كان فيما مضى مفعمًا بالحياة والحركة، واستحال إلى خراب، حيث يستوطن القرمل (شجر ضعيف لا شوك له) وادي المآثب (من أودية الحجاز)، وهذه الحالة ذاتها تعكس حالة الشاعر وشعوره في تلك اللحظة الشعرية التي تتفاعل فيها حالة المناخ الطبيعي بالمناخ العاطفي.

ويصوّر قيس بن الملوح الصيف، قائلًا[5]:

وخبرتماني أن تيماءَ منزلٌ لليلى إذا ما الصيف ألقى المراسيا

فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت فما للنوى ترمي بليلى المراميا

يصوّر الشاعر الصيفَ سفينةً ترسو في تيماء (موضع في شبه الجزيرة العربية)، رابطًا الصيف بدلالتين، الأولى: المناخ الفصلي الحار، والثانية: المناخ الروحي العاطفي الدافئ.

إن فعل الإرساء، هنا، هو فعل توقف بعد ترحل وسفر، فذاكرة الشاعر ترسو في لحظة يملؤها التوتر العاطفي والحنين والشوق، فهو يتلقى أخبارًا عن ليلى من دون أن يراها؛ فاستعرت في داخله حرارة الشوق لتتناغم مع حرارة المناخ الطبيعي في مشترك عاطفي تتلبس فيه العاطفة لبوس المناخ.

ويتحول المناخ في البيت الثاني إلى رمزٍ للانتظار والرجاء، فها هو الصيف يمضي من بدون أن يحمل فرصةً بلقاء ليلى الأمر الذي يضفي على المشهد معاني البعد والعجز والمرارة.

وبفعل الدعاء (سقى) يعبّر قيس لبنى عن حنينه قائلًا[6]:

سقى طلل الدار التي أنتمُ بها حَيا ثم وبلٌ صَيِّفٌ وربيعُ

يطلب الشاعر السقيا لطلل الحبيبة الذي تمر عليه الفصول وتخيّم عليه ذاكرة الفقد وعطر الذكريات، مما يعكس مشاعر التمني غير المنقطع، فطلل الحبيبة لا يمثل مكانًا مهجورًا فقط، بل خزانة الذكرى والمكان العاطفي الذي يمتلك القدرة على سرد تاريخ عاطفي ثابت وعلى بث مشاعر الشوق والحنين ومقاومة كل معاني الفقد والمحو والغياب.

---

[1]) ينظر: الشتاء في الشعر الجاهلي: دراسة موضوعية فنية، الحسين بن علي بن سلمان العجمي، رسالة ماجستير، جامعة نزوى، 2018، 12.

[2]) ينظر: ادب الكاتب، محمد بن مسلم ابن قتيبة تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، مصر، 1963، 86.

[3]) ديوان كُثيرعزة،321 .

[4]) ديوان كُثير عزة،340.

[5] (ديوان مجنون ليلى، 227.

[6]) ديوان قيس لبنى، 83.

ويربط قيس بن الملوح بين المناخين: الخارجي حيث البرد الشديد (القرّ) والمناخ الداخلي حرارة الشوق والاحتواء التي حولت قلبه إلى مصدر للتدفئة الروحية، إذ يقول[1]:

أقول لأصحابي وقد طلبوا الصِّلى تعالوا اصطلوا إن خفتم الْقرَّ من صدري

فإنّ لهيبَ النار بين جوانحي إذا ذُكرت ليلى أحرُّ من الجمر

البرد، وهو من عناصر المناخ الشتوي، يرتبط بحرارة الاحتواء والحنين العاطفي في صورة من التمازج المناخي الذي يكشف ان القلوب الدافئة يمكن أن تمنح دفئها للمحيط، فحرارة عاطفة الشاعر تشابهت مع أشدِّ حالات النار سخونة (الجمر). فالشعور الدافئ يمكن أن يُبطل برودة الطقس.

ويربط قيس بن الملوح بين مناخ الشتاء وعاطفته، قائلًا[2]:

يا موقدَ النار يُذكيها ويُخمدها قرُّ الشتاء بأرياحٍ وأمطارِ

قم فاصطل النار من قلبي مُضرمةً فالشوق يُضرمها يا موقدَ النارِ

يربط الشاعر، هنا، بين المناخ الطبيعي الشتوي البارد وعاطفة الشوق والتلهف والحنين التي يعيشها. ففي صورة الشتاء المناخي تظهر صورة قساوة البرد والريح والمطر، في حين يحاول موقد النار مقاومة هذا المناخ بناره. إن هذا المشهد يعكس روح الشاعر التي تحاول مقاومة الغياب والفقد بدفء التواصل بالذكرى ومشاعر الحب والشوق.

يتحول الحب عند قيس إلى شكل وجودي تتمظهر فيه الحبيبة بصورة الغاية والحلم والمعنى، ويعكس هذا المناخ الطبيعي رمزيًّا صورة المناخ العاطفي.

الخاتمة

إن الشعرَ ابنُ العاطفة. والدافع للإبداع الشعري ينشأ من نوع من الحاجة العاطفية، وإن صور التغير المناخي والعاطفي في المخيال الشعري الأموي كشفت قدرةَ الشاعر العربي القديم على جعل التغير المناخي اداةً للتعبير عن أزمات الروح وتقلباتها؛ فتحولت صورة المناخ الطبيعي إلى مرآة عاكسة لصورة المناخ العاطفي للشاعر، فالمطر والريح وتقلبات الفصول ليست مجرد عناصر وصفية، بل هي رموز وشيفرات شديدة التفاعل مع تجربة الشاعر العاطفية وانفعالاته الداخلية، وهذا يضعنا أمام مخيالٍ شعري يقوم على التوحد بين الذات العاطفية والمناخ الطبيعي في تشكيل صور شعرية محملة بشحنات عاطفية زاخرة الدلالة، فيُطلق التغير المناخي للشاعر النبرةَ وأفقَ التوقع المؤثر في الاستجابة العاطفية.

References

First: Printed Books:

1. Arab Writers in the Pre-Islamic Era and Early Islam- Their lives, their Works, and Criticizing their Poetry, Potrus Al-Bustani, Maroun Abboud Publishing House, Beirut, Lebanon, 1979.
2. Dhu Rumma’s Diwan, edited by: Majeed Tarad, 2 Edition, AlKitab Al-Arabi Publishing House, Beirut, Lebanon, 1996.
3. Encyclopaedia of Astronomy, Issue 1, Al-Yousuf Publishing House, Beirut, Lebanon, 2004-2005.

[1]) ديوان مجنون ليلى، 118.

[2]) م.ن، 114.

4. Greek Thought, Mohammed Al-Khatib, Ala-Addin for Publishing, Distributing and Translating House, 2007.
5. Jamil Bouthayna's Diwan, edited by: Hussein Nassar, Masr Publishing House, Egypt, 1979.
6. Kuthair Azzah's Diwan, edited by: Ihsan Abbas, Athaqafah Publishing House, Beirut, Lebanon, 1971.
7. Linguistic Differences, Abu Helal Al-Askari, AlQudsi Library, Cairo, Egypt, 1353.
8. Majnoun Layla's Diwan, edited by: Abdulsattar Ahmed Farraj, Masr Publishing House, Egypt, 1979.
9. Qais bin Thuraih:Qais Lubna, edited by: Abdul-Ruhman Al-Masstawi, 2 edition, Al-Marefah Publishing House, Beirut, Lebanon, 2004.
10. Songs of Nature in the Pre-Islamic Poetry, Ahmed Mohammed Al-Houfi, Nahdhat Masr Library, Egypt.
11. Suhaim Abd Bani Al-Hashas, edited by: Abdul-Aziz Al-Maymani, Al-Kutub Al-Masreyah Publishing House, Cairo, Egypt, 1950.
12. The End of Need in the Arts of Literature, Egyptian General Organization for Authorship, Printing and Publishing, Cairo, Egypt, Without Date.
13. The Oriental Philosophy, Mohammed Ghallab, 2 edition, Al-Angelo Al-Masreyyah Library, Without Date.
14. The Poetics of Reverie: Childhood, Language, and Cosmos, Gaston Bachelard, translated by: Daniel S. Russell, Beacon, Press, Boston, 1969.
15. The Poetry of Ibn Muqbil: The turmoil of living through the transition from Jahiliyyah to Islam: Technical, Analytical and Criticizing Study, Abdulla bin hmed Al-Fifi, 1 Edition, Nadi Jazan Al-Adabi, Al-Reyadh, Sudi Arabia, 1999.
16. Writer's Literature, Mohammed bin Muslim Ibn Qutaibah, Edited by: Mohammed MuhiAddin Abdulhamid, AtteJareyah Library, Egypt, 1963.

Second: University Theses and Dissertations:

1. Winter in Pre-Islamic Poetry- Technical and Thematic Study, Alhussein bin Ali bin Salman Al-Ajmi, A Master Thesis, University of Nazwah, Oman, 2018.

Third: Researches Published in Magazines and Periodicals:

1. Stoicism-a Philosophical Basis for Ecology, Koffi Alladakan, Open Access Library Journal, Volume 8, e7237, 2021, http://doi.org/10.4236/onliba/107237
2. Weather Studies in Philosophy, Nathan Coppedge, Academia.edu/98141331, 2014.
3. Forehead and Echo, Echo of Soul in Pre-Islamic Poetry, Ihsan A-Deek, Annajah University Journal for Human Researches and Sciences, Nablus, Palestine, Volume 13, Issue 2, 1999.